

الدولة الإسلامية مدنية

د/ محمد منصور

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله
وصحبه ومن والاه.

وبعد....

فهذه الصفحات التي بين يديك -أخي القارئ- تعرض
لقضية تشغل بال الكثيرين في مصر خاصة والأمة العربية عامة ألا
وهي:

ما طبيعة الدولة التي نريدها؟

هل هي مدنية أم إسلامية؟ وهل لا بد من أحد الاختيارين
فقط أم يمكن الجمع بينهما في دولة مدنية بمرجعية إسلامية ونظام
إسلامي؟

لقد انبرت أقلام التيارات السياسية العلمانية في الفترة الأخيرة
(الليبرالية - اليسارية - القومية - والناصرية) والكثير من أقباط
مصر تدعو إلى دولة مدنية تنحي الدين جانباً -والدين هنا هو



جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب

السيد ، محمد محمود منصور.

الدولة الإسلامية مدنية/ تأليف/ محمد محمود منصور السيد

ط ١ - القاهرة : مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠١١

(٤٨ ص)، ١٧ سم تدمك: ٥-٨٤١-٤٤١-٩٧٧-٩٧٨

١ - العالم الإسلامي - الأحوال السياسية

٢ - الإسلام والإصلاح السياسي ٣٢٠,٩٥٣

رقم الإيداع: ٧٤٦٩/٢٠١١ م

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

الإدارة: ١٠ ش أحمد عمارة بجوار حديقة الفسطاط

ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ / ٢٠٢٤٧٢: محمول: ١٥٢١٢٠٢٤٧٢

مكتبة اقرأ - الأزهر: ش البيطار خلف الجامع الأزهر

ت: ٢٥١٤٢١٦٧ / ٢٠٢٤٣: محمول: ١٢٦٣٤٤٠٤٣

مكتبة اقرأ - جامعة القاهرة: ٤ ش حلمي بين السرايات مطلع كوبري ثروت

محمول: ٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ١١٢٣٢٨٣١١

www.Iqraakotob.net

E-mail: iqraakotob@yahoo.com

الإسلام فقط - وأنه لا بديل عن هذا الاختيار؛ لأن البديل هو الدولة الدينية بما لها من طبيعة تسلطية تصدر آراء الناس وحياتهم ومعتقداتهم وتفرض عليهم ما لا يحبه الناس أو يقبلوه، وهذا هو الإفك بعينه؛ لأن الإسلام في كل تاريخه لم يعرف الدولة الدينية (التيوقراطية) التي يكون الحاكم فيها حاكمًا بتفويض إلهي من قبل الإله، وما يقوله الحاكم لا يقبل الرد أو التعديل أو التشكيك أو الرفض؛ فهو ليس كلام الحاكم بل هو كلام الرب.

نقول: لم يعرف الإسلام هذا النموذج على مر التاريخ، ولا يقبله ولا يقول به أحد من المنادين بالدولة الإسلامية التي هي في حقيقتها دولة مدنية بامتياز وبلا خلاف... لكنه التلاعب بالألفاظ من قبل هذه التيارات العلمانية.

إن هذه الصفحات القليلة التي بين يديك -أخي القارئ- بمثابة توضيح جلي لهذه القضية المهمة والتي مفادها أن الدولة المدنية يمكن أن تكون إسلامية وأن الدولة الإسلامية مدنية بالطبع..... فإلى صفحات هذا الكتاب والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

الناشر

الدولة في الإسلام

لم يحدّد الإسلام شكلاً مُعيّناً تفصيلياً للدولة؛ لأنّ هذا التفصيل يتغيّر من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن عُرف إلى آخر، ولو كان حدّد صورةً ما، لكان جامداً غير مرن؛ لأنه سيصبح مناسباً لزمانٍ أو لمكانٍ دون غيره، ولن يكون أبداً صالحاً لكل الأزمنة والعصور والأمكنة كما يريد مُنزلَه سبحانه له؛ لیسعدَ البشرُ به (برجاء مراجعة مقالة: «صلاحية الإسلام للإصلاح والسعادة للبشرية في كلّ زمان ومكان»).

لكنّه من مرونته ومناسبته وصلاحيته للجميع وضع قواعد عامة لكيفية إدارة الدولة ومؤسساتها، ثم ترك تفاصيلها لأهل الخبرة والتخصص والقوانين واللوائح، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣]؛ حيث يتشاورون فيما بينهم، فيضعون ما أمكنهم من أفضل وأكمل وأنسب ما يلائم ظروفهم وأحوالهم وثقافتهم وبيئاتهم من قواعد ووسائل إداريّة؛ لكي

يُحققوا أحسن النتائج ويُحسنوا إدارة شئون البلاد والأفراد؛ ليسعد الجميع في الدارين، وليتعدوا عن كل سلبيات مُفْشِلَة مُتَعَسَة فيها.

فقد يختارون مثلاً لعصر ما ولمكان ما ولتجمع ما النظام «البرلماني» بأن ينتخب عموم الناس بحرية تامة نواباً ووكلاء عنهم يمثلونهم في سنّ القوانين والتشريعات، وهم يختارون وزراء حكومتهم ورئيس بلادهم وفريقه المعاونة له ويعاونونهم ويتابعونهم، بل حتى يعزلونهم عند إساءتهم وتقصيرهم.. وقد يختارون أحياناً النظام «الرئاسي» بانتخابهم لرئيسهم مباشرة ليختار هو وزراءه ويرأسهم.. وقد يجمعون بين النظامين في وقت من الأوقات.. أو يختارون نظاماً آخر نافعاً مناسباً.. حسبما يناسب ظروفهم وأحوالهم وبيئاتهم وثقافتهم وبما يحقق رفاهيتهم وسعادتهم ويُبعدهم عن الشر والفساد والتعاسة.. فقد ترك الرسول ﷺ الصحابة الكرام يختارون من يخلفه، وترك لهم أسلوب اختياره دون تحديد، بل ولم يجبرهم على نظام إدارة مُعَيَّن ما دام داخل إطار القواعد الإسلامية العامة المُسَعِّدَة؛ وذلك لضمان تمام حرية الاختيار وكمال المشاركة من الجميع، وعدم جرماتهم من اختيارهم للأُنسب وللأجود وللأحسن وللأسعد من الأنظمة مع

كثرتها وتنوعها بتنوّع الأزمنة والأمكنة.

وكل ذلك يكون في إطار مساعدة ومشورة أهل الشريعة فقط؛ لتوضيح هل هذه القواعد والقوانين في إطار الإسلام أم خرجت عنه، فعليهم العودة إليه مُسرَّعين، حتى يسعدوا ولا يتعسوا، كما يفهم من وصيته تعالى في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، والذي لا يعني مُطلقاً سيطرتهم وتدخلهم في تفاصيلها مباشرة، بكلّ بساطة وعمق لعدم علمهم بها؛ لأنها تخصّصات مدنية لا شرعية سواء أكانت طبية أم هندسية أم زراعية أم غيرها!

هذا، وكلما اتسعت معرفة الناس بالإسلام قلّ احتياجهم لمثل هذه المساعدة! لأنّ الكلّ يعرف أطره وقواعده ومرجعياته! إلا فيما يُسْتَجَدّ ولا يعلمونه فعليهم حينئذ الرجوع إليهم لضمان عدم انحرافهم عن الطريق الصحيح المُسَعِّد، كما يفهم ضمناً من قوله تعالى في ختام الآية: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

إذا فالدولة في الإسلام ليست دولة دينية (والتي يُسمّيها الغرب: ثيوقراطية) يحكمها حاكم شرعيّ يعتبر نفسه نائباً عن الله جلّ وعلاً مُعيّناً بتعيينه مُختاراً باختياره مُقدّساً بتقدّيسه لا تجوز مراجعته أو معارضته؛ لأنّ أفكاره واقتراحاته وأوامره إلهية لا تُخطئ يُوحي بها إليه!! بل مَنْ يفعل ذلك فهو على خطأ عظيم وعليه أن يُراجع إسلامه! لأنّ الرسول ﷺ ذاته وهو المؤسس للدولة الإسلامية وأول مَنْ قادها وأدارها لم يفعله! بل أكّد ربه عكسه على لسانه بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وزاده تأكيداً أول خليفة له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو الخليفة البشريّ المدنيّ غير المعصوم الذي لا يُوحى إليه كأيّ بشر في أول خطبة له معروفة مشهورة بعد اختياره من المسلمين: «لقد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني..» (راجع السيرة النبوية).. بل الحاكم أجير عند الشعب الذي يختاره، كما يُفهم ضمناً من حديث الرسول ﷺ المعروف: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته..»، فهو راع وخادم لهم، أجير عندهم، مسئول منهم وعنهم.. ويجمع ذلك كله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل سبحانه: «وأولي الشرع منكم»!!.. يقول الإمام أبو حيان في «البحر المحيط»: «.. الظاهر أنه كل مَنْ وُلّي أمر شيء ولاية صحيحة..».

إنها دولة مدنية بكل معانيها، دائمة التطوّر والتجديد والتحديث، لكن بمرجعية دينية ربّانية، أي في إطار أخلاق الدين وشرعه سبحانه، لا تخرج عنه لأيّ سبب كان، وهذا هو السبب الرئيس لاستمراريتها على الخير والسعادة دون أية احتمالية لأيّ انحراف من أي نوع ومن أيّ أحد، كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠] والذي جاء في تفسيره في «المنتخب»: «.. هو سبحانه مُعتمدي ومرجعي في كلّ أمور» وقال فيه الإمام السعدي في تفسيره: «.. مفهوم الآية الكريمة أنّ اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأنّ الله تعالى لم يأمرنا أن نردّ إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه يكفي اتفاق الأمة عليه؛ لأنها معصومة عن الخطأ، ولا بُدّ أن يكون اتفاقها موافقاً لما في كتاب الله وسُنّة رسوله..».

أي إنكم تفكرون بكل حرية فيما ينفعكم من أنظمة، وتتعدّد آراؤكم، من أجل المصلحة والسعادة، لكن في إطار المرجعية لشرع

الله وحدوده؛ حيث هو أكمل وأضمن إطار لاستمراريتكم على كل سعادة دون أي شقاوة، إذ أيّ نظام آخر قد يُسعدكم لكنها ستكون سعادة بكل تأكيد جزئية مادية وليست كُليّة فكرية وقلبية ومشاعرية وجسدية كسعادة الإسلام.. جاء في «أيسر التفاسير» لأبي بكر الجزائري ما يؤكد هذا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]: «.. أي بالحجج القواطع، وأنزلنا معهم الكتاب الحاوي للشرائع والأحكام التي يكمل الناس ويسعدون بها..».

بل إن كثيراً من الأنظمة التي اتبعتها غير الإسلام قد أتعستكم بالفعل! كما يُثبت الواقع ذلك.. فهذا هي الشيوعية قد استعبدتكم وأذلتكم بالقهر والقسوة وتكميم أفواهكم حتى سقطت، وها هي العولة قد أفقرتكم لصالح قلة منكم وستسقط، وها هي الليبرالية قد أخضعتكم لشهواتكم بدلاً من استخدامها كنعم فنشرت بينكم الحروب من أجل تجار السلاح، والدعارة والمخدرات ليتنفش تجارها، والديكتاتوريات لحيتان السياسة، فما الذي تبقى - إذن - من حياتكم آمناً سعيداً في ظل هذه الأنظمة!؟

لقد كان من البديهي أن يكون هذا الوضع الذليل التعيس دافعاً لكل عاقل حريص على سعادة حياته أن يبحث عن مخرج، عن نظام يأخذ بيد الجميع لحياة آمنة سعيدة، فإذا ما تقدّم المسلمون بنظامهم الإسلامي من خلال الدعوة له بالحكمة والموعظة الحسنة، فلیدرسه المُنصفون الأخلاقيون الحريصون على المصلحة العامة، وليأخذوا بما فيه من خير، وسيجدونه بالتأكيد كله كذلك! وهذا ما لا يعترض عليه أية ديانة أو ثقافة أو أنظمة أخرى! بل جميعها ستجد الإسلام يشملها كلها ويحترمها كلها ويستكملها ويُقيّمها كلها!

فماذا يريد - إذن - هؤلاء الذين يُسمّون أنفسهم بالعلمانيين، والذين يدعون لفصل الدين والأخلاق عن حياة الناس أو دولتهم؟! إنهم منتفعون ولا شك من هذا! حتى يظل البشر حيارى مُتخبطين لاهين غافلين فيسهل عليهم استعبادهم واستغلال ثرواتهم!.. إنهم إن كانوا قد وصلوا لهذا بحجة أنهم قد رأوا سابقاً استبداداً وتسلطاً وفساد كهنة الكنائس والمعابد بالحكم والحكام باسم الدين والقدسية الإلهية، بعدما حرّفوا كثيره وأخفوا معظمه، فليطمئنوا أن الإسلام ليس كذلك بالمرّة؛ لأنه محفوظ بالله

وبالمخلصين من المسلمين من أيّ تحريف من أيّ مُغرض؛ لأنه سبحانه يؤكد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وإن كانوا قد وصلوا إليه بحجة أن السياسة دَنَسٌ وعلينا ألا ندنّس الدين بنجاستها!! أو بحجة أن الإسلام ليس فيه دولة أصلاً ولم ينصّ عليها! فيقولون: «لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة!» أو يقولون: «دَعْ ما لقيصر لقيصر وما لله لله!» أو بأيّ حجج أخرى يبعون بها جعل السياسة غدرًا وخيانةً وكذبًا وخداعًا لتضييع الحقوق لصالحهم بدلًا من حفظها لأصحابها وإسعادهم! بينما السياسة في اللغة والإسلام من ساسٍ يسوسُ أي يُدير، فهي إحسان الإدارة من أجل السعادة.. فكل هذا وما يشبهه يكفي في الردّ عليه ردًّا قاطعًا لا يقبل التعليق أنّه إذا كان الإسلام يشمل كل شؤون الحياة ليُصلحها ويسعدها كما يفهم من تأكيده تعالى بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فكيف يترك شيئًا مهمًا عظيمًا مؤثرًا مثل الحكم والسياسة والدولة؟! ثم المتصفح للقرآن الكريم ولللسنة النبوية الشريفة ولو تصفحًا عابرًا يرى كثيرًا من الآيات والأحاديث تنظمها؟! فمثلاً على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]
وقول الرسول ﷺ منبهاً للحرص على كلّ الإسلام صغيره وكبيره لتتم السعادة بدءاً بحكمه ومروراً بقوانينه وانتهاءً بشعائره:

«لَتُنْقِضَنَّ عُرَى الإسلام عُرْوَةُ عُرْوَةٍ، فكلما انتقضت عُرْوَةٌ تشبّثَ الناس بالتي تليها، فأولها نقضُ الحكم، وآخرها الصلاة»
(رواه أحمد وصحّحه الألباني).

ثم إن هناك على مدار العالم أحزاباً سياسية دينيةً مسيحيةً أو يهوديةً أو غيرها قد حصدت الأغلبية من أصوات الناخبين وأدارت دولها بدينهم، فلماذا يُحرّم الإسلام من ذلك وهو الأكمل والأشمل والأضمن لأتم سعادة؟! *

ربانية:

كما يقول تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

فهي موصولة بربها دائماً، خالقها ومُربّيها ومُعِينها، الكامل المنزّه عن الأخطاء والأهواء، الكريم الودود الرزاق القادر على كل شيء، تطلب منه ما شاءت بعدما تتخذ ما أمكنها من أسباب؛ لتسعد بحياتها، فيزيدها توفيقاً وسعادة.. بينما البُعد عنه سيكون يقيناً سبباً لكل فشل وإخفاق وذنوب وتعاسة.. وهي تتربّى مع الناس فيها وحولها على ذلك.. يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية الكريمة: «.. منسوب إلى الربّ، والربّاني الذي يُربّي الناس.. وكأنه يقتدي بالربّ سبحانه في تيسير الأمور.. والربّاني الذي يجمع مع العلم البصر بالسياسة، مأخوذ من قول العرب: ربّ أمر الناس يُربّه إذا أصلحه وقام به..»، ويقول الإمام السعدي في تفسيره عن هذه الصفات: «.. هي مدار السعادة..»

عدلية:

كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]. فالعدل هو الذي سيستخرج الطاقات بأكملها دون إخفاء،

مواصفات

الدولة الإسلامية وحكامها

إنّ الدولة لكي تكون إسلامية بحق، لا بدّ أن تجتمع فيها عدّة صفات، وإنّ فقدت صفة منها لم تكن إسلامية كاملة، وإنما جزئية وعليها السعي لاستكمالها؛ لتكتمل ولتستكمل سعادتها ومن فيها، وأهمها:

لأنَّ كلاً يأخذ حقه، وكلما أعطى أكثر أخذ نتيجة أكبر.. فهناك عدالة ومساواة في التوزيع والترقية والمناصب مبنية على الخبرة والكفاءة دون أيِّ محاباة أو إضاعة للحقوق بسبب محاباة أو حرج أو غيره.. بينما الظلم يدفع كل ذي خبرة أن يكتمها، إضافة إلى إيغاره للصدور وزرعه للأحقاد والشور.

صدقية:

كما يقول تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١].
فبالصدق والأمانة والوضوح والتكاشف يتحقق الأمان وتتضح الأهداف، ويُحسن اختيار الوسائل وتوزيع الأدوار والجهود.. بينما الكذب والغش والخداع والتلون فهي أمور تُضعف الإنجاز وتعوقة وتمنعه، وتجعل حلول المشكلات صعبة مُعقَّدة عسيرة غامضة.

حرية:

فهي تحترم حرية كل الأفراد والطوائف والقبائل والمجتمعات والأحزاب، على اختلاف دياناتهم وعقائدهم وأفكارهم وثقافتهم وبيئاتهم، ما دامت حرية سلمية لا دموية، منضبطة لا فوضوية، أي

لا تضر النفس ولا الغير ولا حتى أي مخلوق، حرية نافعة مثمرة، فالحُر دائماً مُنتِج إيجابيٍّ مُبتكر متحرِّك رابح سعيد، لأنه حُرٌّ في رأيه، في قراره، في عمله، في إنتاجه، في علاقاته، في اختياراته، ما دامت حلالاً، أي مُفيدة مُسعدة.. يقول تعالى مؤكداً ذلك: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فلا يُكره أحدٌ على شيء لا يقتنع به، بل يُجتهد في إقناعه بكلِّ حبٍّ ووُدٍّ وحكمةٍ ولينٍ وتدرُّجٍ وصبرٍ، حتى يتبين له أين الخير من الشر والسعادة من التعاسة والصواب من الخطأ، فسيتبعه هو بنفسه بكل سلاسة وحماسة واقتناع، حينما يرى أنَّ فيه مصلحته وسعادته، فلم الإكراه إذن؟! إنَّ الإكراه يُؤلِّد غالباً أو دائماً نفاقاً وحقداً ومحاولات تفلت، بل وارتداداً عمياً هو صحيح عند أي فرصة متاحة بسبب عدم الاقتناع!.. إنَّ دولة أفرادها هكذا، لا بُدَّ أن تمتلك قراراً حُرّاً، سواء أكان سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً أم إعلامياً أم عسكرياً أم غيره، ولا بُدَّ أن تنمو، فيزقي المجتمع كله، فيسعد في الدارين.

حقوقية:

كما يقول تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]
والذي قال فيه الإمام الرازي في تفسيره: «.. والمعنى أنه ما

أردنا بإنزاله إلا تقرير الحق..»، وكما يؤكد الرسول ﷺ: «... فأعط كل ذي حق حقه» (جزء من حديث رواه البخاري وغيره).

فهي دولة تعمل بكلِّ حقٍّ ومن أجلِّ إحقاقه وحفظ الحقوق، فالكل يعرف واجبه نحو الكل ويأخذ حقه ويحفظ للآخرين مسلمين وغيرهم حقوقهم النفسية والمالية والاجتماعية والسياسية وغيرها، فيسعدون.

قانونية:

فليس معنى أنها دولة حقوقية تحفظ الحقوق أن تُبيح لكل صاحب حقٍّ أخذه بأيّة صورة حتى ولو كانت همجية غوغائية! وإنما يأخذه بنظام، بالقانون العادل، كما يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

والذي قال فيه الإمام ابن عجيبة في «البحر المديد»: «.. الشرع الذي يُوزن به الحقوق ويُساوي بين الناس..».

فميزان القانون هو الذي يحكم، القانون الذي يشمل القواعد العادلة الصحيحة الصالحة المُسعدة التي اتفقت عليها البشرية بخبراتها وتطوراتها، في إطار شرع الله كما يفهم من قوله تعالى: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٩٥].

والكل متساوون أمامه سواء أكانوا حكاماً أم محكومين رجالاً أم نساءً مؤمنين أم حتى كفاراً، كما يؤكده تعالى بقوله: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، فلفظ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يفيد الجميع لا المسلمين فقط ودون أيّ تمييز، كما يزيده تأكيداً قول الرسول ﷺ: «.. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم). حتى يسعد الجميع بالنظام والعدل ولا يُتَعَسَا بالفوضى والظلم.

شورية:

كما يقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]..

فبالحوار والتفاهم بين كل المؤسسات والتجمعات والأخذ برأي الأغلبية ومحاولة توسيعها تدريجياً بالإقناع الودّي للآخرين، وبحسن التخطيط وعدم التردد بعده، وبجودة ودقة المتابعة، وبالعامل الجماعي بروح الفريق في إطار الأخوة وسلامة القلوب وصفائها، وبالاستماع لكل آخر وقبوله، تتجَمَّع الآراء وتقوى

ويكمل بعضها بعضًا، وتتكدّس خبرات السنوات في الفترات القليلات، وبالأغلبية تترتب الأهداف والإجراءات ويُؤخَذ بالأنسب منها ويُعمل به، وتتعدّد البدائل بحيث يُطبَّق الأول لفترة، فإن كان مناسبًا فيها ونعمت، وإن لم يكن مناسبًا يُستخدم الذي بعده، وهكذا.. ولو فُرضَ وحدث عدم توفيق لسببٍ أو تقصيرٍ ما، تمهّل الجميع العواقب وبدءوا في التكاثف لعلاجها سريعًا، إذ الغالبية مشاركة في الرأي..

بينما «الديكتاتورية» والانفراد بالرأي، أي الاستبداد، على أيّ مستوى كان هو من أهم أسباب السلبية والإحباط وكبت الطموح والابتكار، ونشر الأخلاقيات الفاسدة كالخوف والنفاق والرياء والظلم وعدم التخطيط والتردد والتخبط والعشوائية ونحو ذلك من المفاصد، ثم رأي واحد سيكون ولا شك أضعف وأقل خبرة وعمقًا ونفعًا من عدّة آراء. هذا، وبالاختخاب يشترك كل الأفراد في اختيار مسئوليتهم، فيقفون بالتالي وراءهم بكل ما أمكنهم؛ لأنهم ممثلون لهم ومُختارون منهم وبهم..

بينما «الروتينية» هي سبب لكل جمود وتراجع.

كذلك تعيين المسؤولين من غير انتخاب وحرية واختيار - إلا

عند الضرورة والاحتياج لنوعية مُعيَّنة في ظرف مُعيَّن أو عند تُعذر انتخابهم - فإنه قد يكون سببًا في عدم التجانس والتوافق.

أيضًا سوء الاختيار أو تزوير الإرادة هو شهادة زور لها أضرارها الدنيوية والأخروية التي أهمها، تصعيد مَنْ هو غير أهلٍ للمسئولية فيحدث الفشل والضياع والتخلف والتعاسة، كما حذّرنا الرسول ﷺ بقوله: «إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» (جزء من حديث أخرجه البخاري).

هذا، ولا يُقدِّم مسئول نفسه لمسئولية ما، خوفًا من أن يكون له غرض ما غير الإصلاح والإسعاد، فيفشل ويتعس في دنياه وأخراه، كما يُنبّه لذلك الرسول ﷺ في قوله: «لَنْ نَسْتَعْمَلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ» (أخرجه مسلم).

إلا إذا كانت نواياه خالصة صالحة، ووجد في ذاته صلاحًا وخبرة واستعدادًا ووقتًا وجهدًا وفكرًا للعمل ما، فليستعن حينئذ بالله وليتقدّم، وليعاونه المخلصون من حوله، كما فعل يوسف ﷺ حينما قال القرآن على لسانه مُعلِّمًا لنا: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

ثم فترة الرئاسة تكون مُحدّدة بزمانٍ مناسب يُتفق عليه، لضمان

دوام التجديد بعد انتهاء فترته وليستفاد بخبرات الآخرين على اختلاف دياناتهم وثقافتهم وبيئاتهم وأحزابهم وبخبراته هو معهم أيضًا مستقبلًا، وبحيث إذا أساء يُمكن تغييره بانتخاب غيره بعد انتهاء مدته بكل سلمية وقانونية ودون أي صدام ضارٍّ أو إراقة دماء وإتعاسٍ للناس وإيقافٍ لحياتهم وتحقيقٍ لخساراتهم وتراجعاتهم وتعاساتهم (برجاء مراجعة مقالة: «التغيير بالإحلال لا بالقوة والعنف» لمزيد من التفصيل والتوضيح).

بل من حقِّ الشعب عزل برلمانه أو حتى الرئيس سلميًا بسحب الثقة منه إذا اتفقوا على عدم صلاحيته أو سوءه قبل أن تنتهي فترته بعد نصحه - بالطبع - بالحسنى مرارًا وتكرارًا، وبعد مراجعته وتصويبه عند خطئه ليسعد الجميع.

كما يُفهم من قول الرسول ﷺ: «السمع والطاعة حقٌّ على الفرد المسلم فيما أحب وكره ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (أخرجه البخاري ومسلم).

وهذا هو معنى الدولة أصلًا، أي التداول، كما يفهم ضمناً من قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومن قوله: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ [الحشر: ٧]، أي

تداول وتجديد المسؤولين ووسائلهم وأدواتهم، بكل حرية واختيار، بين كل الأحزاب والتكتلات، على اختلاف برامجهم وأولوياتهم في الإصلاح والإسعاد؛ ليقوم بالأمر دائماً الأصلح والأنسب والأقوى والأكثر خبرةً وأخلاقاً وإصلاحاً وإسعاداً، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصاص: ٢٦].

شعبية:

كما يقول تعالى: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥].

وكما يقول الرسول ﷺ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم» (أخرجه مسلم)؛ حيث كما يشترك الكل في القرار كذلك يشتركون جميعاً في الإنتاج والإنجاز، على كل المستويات، بكلِّ الفئات، بما يتناسب مع خبرة وتخصّص كل فرد في مجاله.. وبالتالي، فإذا حَدَثَ إنجاز ما، استفاد وسعد الجميع به، وكان دافعاً لهم لمزيد من الإنجازات والسعادات، وإن حدث العكس، تحمّلوا كلهم المسؤولية بكلِّ جدّية، وشاركوا مسرعين في العلاج، حتى يعودوا للصواب وللخير وللتقدّم وللسعادة.

تعاونية:

كما يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، فالأمر بالتعاون إنما هو بين البشرية جميعها وليس مقصوراً على المسلمين وحدهم!

فالاتحاد قوة كما هو معلوم، والفرقة والتعصب والتنازع والجدل سبب لكل ضعف وانحزام، كما يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦].

وكما يقول الرسول ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هُدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (أخرجه الترمذي).

هذا، ومن التعاون التناضح بالخير بكل لينٍ وحُسْنَى وأدب واحترام مُتبادَل.

كما يقول الرسول ﷺ في حديثه المعروف: «الدين النصيحة..»، فبه يتم سرعة التصويب وبلوغ النتائج وتدارك الأخطاء وضبط الأعوجاج، بينما كتمانها يكون بدايةً للانزلاق والتهيه في الخطأ، وعدم تداركه إلا بعد فوات الأوان.

ودية:

كما يقول الرسول ﷺ في الحديث الشهير: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (أخرجه البخاري، وفي رواية لمسلم «لجاره»)، والذي يرى فيه بعض العلماء أنَّ لفظ «أخيه» يعني الأخوة الإنسانية كلها وليس المسلمين فقط، كما يقول الإمام الصنعاني في «سُبُل السلام» في معرض شرحه لهذا الحديث: «.. وأطلق المحبوب ولم يُعَيَّن.. هذا على رواية الأخ، ورواية الجار عامة، للمسلم والكافر والفاسق والصدِّيق والعدو والقريب، فإن كان الجار أخاً أحبَّ له ما يحب لنفسه، وإن كان كافراً أحبَّ له الدخول في الإسلام وفي الإيمان مع ما يحب لنفسه من المنافع.. والذي يشمل الجميع، إرادة الخير، وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية وترك الإضرار به..».

فبالحب بين الجميع، وبين المرءوسين ورؤسائهم، في كل مجال، تلتقي المشاعر وتندمج وتتلاحم وتتطاوع، وتنتقل تبعاً لذلك العقول والأجساد بكلِّ قوة نحو تحقيق الأهداف والرقي والسعادة.. بينما بالبغض تفرق وتمزق وتتشتت وتتخلف وتتعس.

هذا، ومن الحب الاحترام الشديد للكرامة والمشاعر الأدمية العامة، كما يقول تعالى مُنِبِّهَا لَذَلِكَ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وكما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وكما وقف الرسول ﷺ احتراماً لجنائزة يهودي، فلماً تعجَّب الصحابة قال لهم: «أليست نفساً؟!» (رواه البخاري).

بل لقد اعتبر الإسلام كل إنسان مهما صغر هو يمثل البشرية كلها ويكون الاعتداء عليه بمثابة اعتداء عليها ونفعه نفعاً لها جميعها، وهو خليفة مُؤْتَمَن على الأرض أيضاً، إضافة إلى الحاكم، كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

كذلك، الحب درجات، يبدأ بالإنسان، بالبشرية كلها؛ حيث كل بشر بل كل مخلوق له الحد الأدنى من الود الذي به تحسن

العلاقات وتسير وتساعد، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ثم تزداد درجة الحب بأسبابه، بازدياد درجة القرب وحسن التعامل، قرب الإيثار والإسلام، وقرب الأسرة والعائلة والرحم، وقرب الجيرة والزمالة والصدقة، وهكذا.

وطنية:

فالوطن يجمع الجميع، فالكل مواطنون فيه، مسلمون وغير مسلمين، رجال ونساء وشباب وشيوخ، متساوون في الحقوق والواجبات والمناصب والحوافز والجزاءات حسب الكفاءات والعطاءات، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

ومن قول الرسول ﷺ فيما صححه الألباني: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أبيض على أسود، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب»، ومن فعله ﷺ عملياً على أرض الواقع؛ حيث جمعت دولة المدينة

المسلم مع اليهودي مع النصراني مع المجوسي مع المشرك مع اللاديني مع الزنجي مع الأحمر مع غيره، فالجميع يجمعهم العدل والأمان والنظام، كما تقول القاعدة الفقهية التي كثيراً ما يوردها الفقهاء في كتبهم: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا»، فسعد كل مواطن على قدر التزامه بالأخلاق، ثم حساب كل منهم عند ربه يوم القيامة، حسباً قدّم من خير أو شر أو إيمان أو كفر.. وكل ذلك هو ما يفهم ضمناً من قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

مؤسسية:

كما يفهم ضمناً من قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، أي نظمته تنظيمًا وضبطه ضبطًا.

كما قال الإمام السيوطي في تفسير «الجلالين»: «.. سوّاه تسوية..»، فكل عمل لا بُدَّ أن يكون مُنظَّمًا منضبطًا، فهي دولة تعتمد على النظام والانضباط مع اعتمادها على الأفراد، فالنظم تسير حتى في غياب القيادات وتغييراتهم، فهي تقوم على العمل الجماعي، على فرق العمل، على روح الفريق المتكاتف المتوادة المتفاهمة، فالكل يحترم النظام الذي ارتضوه واتفقوا عليه ووضعوه بالشورى فيما بينهم، والكل يتعاون بكل الجهود والإمكانات،

وبكل الصفاء والإخلاص والوُدّ مع المسؤولين على تنفيذه وإنجاحه.. فبالنظام ينجحون ويسعدون.. كما يقول تعالى: ﴿وَأْمُرُوا بِدِينِكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ٦] والذي قال فيه الإمام الطبري في تفسيره: «.. وليقبل بعضكم أيها الناس من بعض ما أمركم بعضكم به بعضاً من معروف..»، وكما يقول الرسول ﷺ في أهمية تكوين الفريق الصالح مع المسئول من النواب والمستشارين الصالحين: «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يُعنه» (أخرجه أبو داود).

وكما يقول أيضاً: «عليك السمع والطاعة في عُسرِكَ ويُسرِكَ، ومُنشَطِكَ ومُكرهِكَ، وأثرة عليك» (أخرجه مسلم).

ما دام المطلوب منك في حدود الاستطاعات والطاقات التي تختلف من شخص لآخر حسب البيئة التي نشأ فيها، والظروف التي تربى عليها، كما يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم» (أخرجه البخاري ومسلم) (ومعنى «أثرة عليك» أي حتى لو حدث في حقك تقصير ما من مسئولك فأداؤك أنت الحق سيدفع غيرك يوماً ما إلى العودة

لإعطاء كل ذي حقَّ حقه) وما دام الأمر في إطار أخلاق الإسلام وحلاله لا حرامه ومعاصيه كما يقول ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف» (أخرجه البخاري).

إدارية:

كما يُفهم من قوله ﷺ المعروف: «كلكم راع..» الذي قال فيه الإمام النووي في «شرح مسلم»: «.. كل مَنْ كان تحت نظره شيء فهو مُطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته..»، فقوله «ومتعلقاته» يُفيد كل ما يُحسِّن إدارته، فعليه أن يُحسِّن إدارة ما يُديره وَمَنْ يَرعاه.. وكما يُفهم أيضًا من قوله ﷺ:

«الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحقُّ بها»

(أخرجه الترمذي)

والذي قال فيه الإمام المناوي في «فيض القدير»: «.. الحكمة التي أُحْكِمَتْ بالعلم والعقل، والحكيم المُتَّقِنُ للأمر..».

فهي دولة تهتمُّ بأجود وأحدث وسائل الإدارة، إدارة الذوات والأوقات والأفراد والأعمال والأموال والأزمات وغيرها، تهتمُّ بتخطيط إستراتيجي طويل الأمد، وتخطيط بأهداف قريبة المدى، ولعل في تخطيط يوسف ﷺ لسبع سنوات مقبلة لتأمين الغذاء

تعليم لنا للأخذ بمثل ذلك؛ حيث به تتوفر الأوقات وتتسع الجهود وتتحدَّد الاتجاهات والرؤى والأهداف ويتجمع الجميع ويتواء ويتفاهم ويتعاون على تحقيقها وتقويمها وزيادة إنجازاتها والسعادة بها وعلاج سلبياتها وتجنبها وتعاساتها مستقبلاً.

إنها دولة تهتمُّ بكل تفكير وإبداع، وقواعد ولوائح، وحوافز وجزاءات، ومتابعة ومُعاوَنَة ومُراقَبَة، وقواعد بيانات ومعلومات وبيوت خبرات، وحلُّ مشكلات، وتطويرات، وتفويضات، ولا مركزيات، وتدريبات لضمان الخبرات والتطويرات والمنجزات.. وكل ذلك هو تفصيلٌ لقوله تعالى الجامع: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصاص: ٢٦].

إنها دولة تفصل تمامًا بين السلطات الثلاث المعروفة: التشريعية والتنفيذية والقضائية.. وتفصل أيضًا السلطة الرابعة الصاعدة: الإعلامية؛ وذلك لضمان تمام الحيادية والعدالة والانطلاق المُفيد الهانئ.

علمية:

كما نَبَّهَ لذلك الله تعالى بقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فالعلم والتعليم أصل في تطور حياة الدول والشعوب ورفيها وزيادة سعادتها، ما دام علما أخلاقياً عادلاً نافعاً مُسْعِداً لا فاسداً ظالماً ضاراً مُتْعِساً، في كل أنواع العلوم: طبية أو هندسية أو زراعية أو كيميائية أو فيزيائية أو فلكية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو أمنية أو اجتماعية أو أدبية أو فنية أو رياضية أو غيرها.

اقتصادية:

كما يقول تعالى: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤].

وكما يقول ﷺ: «أذهب فاحتطب وبع..»

(جزء من حديث أخرجه أبو داود).

فهي تهتم اهتماماً شديداً بالعمل والإنتاج، فالكل يعمل، والكل ينتج ويُجز، فيما هو حلال، أي مُفيد مُسْعِد، بعيد كل البعد عما هو حرام، أي ضار مُتْعِس، كل على قدر طاقاته وإمكاناته وظروفه وأحواله وبيئاته وثقافته.. وبهذا يرتقي الجميع، ويرقى بالتالي اقتصاد بلادهم تلقائياً الذي بدوره سيعود عليهم ثانياً بكل رُقِيٍّ وخيرٍ وهناء.

ففي الإسلام نظام التجارة بالبيع والشراء ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ

وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ونظام البنوك التي تُجمّع الأموال وتُحرّك بقوة الحياة التجارية والصناعية والزراعية وغيرها دون مراباة هدفها تحريك الأوراق المالية فقط - فيحدث التضخم والانهيار -، ونظام التأمين التعاوني بالمشاركة، ونظام المربحة دون إضرار أو مخادعة، ونظام التقسيط الذي يحرك السوق دون احتكار أو مبالغة، ونظام القروض المُيسّرة بلا مُرايدة.. وهكذا.. إضافة إلى أخذه بكلّ نظام مُستحدث لا يُخالف قواعده ويحقق المصالح والسعادات.

ولقد توسّط الإسلام بين الأنظمة التي تُبيح الملكية بلا حدود، والتي غالباً ما تُنشئ طبقة من المُترفين تستغل المُستضعفين، والتي تُحرّمها وتجعلها كلها للدولة، مع مخالفة ذلك للفطرة الإنسانية؛ حيث دولة الإسلام لا تملك إلا المشاريع الضخمة التي لا يُطبقها الأفراد، وهي أيضاً ملك عام لهم ونفعها يعود عليهم كلهم، أو تملك المشاريع التي لا تُدرّ ربحاً أو قد يحدث منها احتكار أو تضيق على الناس كالطرق والكباري والسدود ونحوها، ولا شك أن ذلك تخفيف عن كاهل الدولة، ومنع للتصادم بينها وبين شعبها إذا هي ملكت كل شيء ولم تستطع

الوفاء بمتطلباته، وتحفيز الأفراد على إنشاء وإدارة المؤسسات الاقتصادية المختلفة، فالملكية لهم، والربح إليهم، يُوزَّع بنسبة جهدهم المبذول، ويُخرجون زكاتهم لينفعوا غيرهم فيعود نفعهم عليهم أيضًا لاحقًا، فتقل البطالة وتندم، ويعمّ الرخاء، ويزدهر الاقتصاد، ويُمَتِّك القرارين الداخلي والخارجي.. فيسعد الجميع ويُسعدون.

اجتماعية:

فالتصفح للقرآن الكريم وللأحاديث النبوية الشريفة ولو حتى بأدنى درجات التصفح يلمس سريعًا اهتمامًا عظيمًا بالإنسان، لأنه أساس أي نهضة وإصلاح وإسعاد، وإذا صلح انصلح المجتمع كله وصلحت الحياة كلها، وإذا فسد فسدت جميعها.. إنها دولة تهتم بكل إمكانياتها وبأول أولوياتها بنفسية الفرد وفكره وأحاسيسه واجتماعياته، من خلال بعض قواعد تعاملٍ حسن وبعض شعائر كصلاة وقراءة قرآن تصله بربه وتحرك مشاعره، فتدفع بالتالي عقله وجسده لأحسن الأعمال الحياتية، ومن خلال تنظيم علاقاته مع الأزواج والأبناء والجيران والأقارب والزملاء والأصدقاء والجميع، وكل ذلك بتفصيل دقيق يحفظ حياة اجتماعية

أمنة هائلة، وبنظام عقوبات جنائية تحميه، وتنفذه الشرطة والقوى الأمنية فيها؛ لمنع الشروع في أي جريمة أو فعلها، ولعودة أي مجرم لحياة طبيعية صحيحة سعيدة.

صحية:

كما يقول ﷺ في حديثه المحفوظ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..» (أخرجه مسلم وغيره)

فهو قوي في كل شيء: صحته، فكره، علمه، ماله، عمله، كسبه، إنجازاته، علاقاته.. فهي دولة تهتم بصحة مواطنيها، فهم رأس مالها، وصحتهم هي رأس مالهم، وبدونها يضعفون ويتراجعون ويتخلفون ويُتَعَسَوْنَ. فهي تهتم بحُسن التغذية، وبالوقاية من الأمراض، وبحماية البيئة المائية والهوائية والأرضية والزراعية وغيرها، وبالتأمين الصحي العام والخاص، وبتوفير التشخيص والعلاج للجميع على أكمل وأجود صورة وبأقل تكلفة ممكنة.

رياضية:

فهي إن كانت تهتم بصحة المواطنين، كجزء من قوتهم وقوتها،

فمن أول وأفضل وأسهل وأرخص صور الاهتمام هو الاهتمام بالرياضة، وهي التي تحافظ على الصحة وتُنمّيها.. فهي تهتم وتنشر وتنظّم الرياضة ومسابقاتها وتدريباتها وتطويراتها وخبرائها، في البيوت والمدارس والنوادي وغيرها، وتهتم اهتمامًا خاصًا بالتميزين منهم، وتؤهلهم وطنيًا ودوليًا وعالميًا، فهم سفراء صالحون لها ودلائل على نجاحها وسعادتها وخير من يمثلونها ويدعون غيرها؛ ليكونوا مثلها وعلى نظامها الإسلامي الذي به يكملون ويسعدون ويسعدون.

إعلامية فنية:

كما يُفهم من حديث الرسول ﷺ المعروف: «إن الله جميل يحب الجمال» (أخرجه مسلم).

فهي تهتم بكل عمل إعلامي أو فني جميل هادف مفيد نافع مُسعد للناس، ويزيدهم ترفيهاً ووعياً وإنتاجاً ورقياً وسعادة، سواء أكان إخبارياً أم درامياً أم سياسياً أم علمياً أم اجتماعياً أم اقتصادياً أم شرعياً أم سياحياً أم رياضياً أم غذائياً أم فكرياً أم غيره.

إقليمية:

كما يقول تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فهي تؤثر وتتأثر بالمحيط الإقليمي حولها، تنشر خيرها وسعادتها بالحسنى وبالحوار وبالتفاهم وبالقدوة الحسنة المُمثلة في نجاحها وسعادتها في الاقتصاد والعلم والعمل والاجتماع والصناعة والزراعة وغيرها، للدول حولها، الأقرب ثم الأبعد، لتُسعد بها سَعِدَت هي بكل الأخلاق الإسلامية مجتمعة سعادة كاملة فكرية ومشاعرية وجسدية.. ثم هي تتأثر بأي خير ممن يُحيطها وتأخذ وتعمل به من فكر أو إبداع أو علم أو عمل أو إنتاج أو نحوه، وتُبقي كل فرد وقبيلة ومدينة ودولة على حاله، على دينه وثقافته، على أمل مُعاشته بأخلاق الإسلام وسعادتها لفترات، فيفهمه، فيعمل به، فيسعد، ثم ينشر هو هذا الخير تدريجياً، بكل الود أيضاً، حتى تسعد الأرض كلها ومن عليها مع الوقت، كما يُفهم من قوله تعالى:

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧].

عالمية:

كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

الذي قال الإمام البيضاوي في تفسيره: «... لأنَّ ما بُعث به سبب لإسعادهم».. فهي بتعاونها وتحاورها الإقليمي تُكوِّن اتحادًا إقليميًا له من القوى البشرية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ما يُمكنه من نشر الإسلام بالحسنى والود للعالم كله؛ ليسعد وليطمئن بأخلاقه، كما يحب له ربه، وكما هو الهدف النهائي الذي خلقه من أجله وهو السعادة في الدارين، بعدما شقي بغيره من الأنظمة التي أسعدته سعادة جزئية أو حتى أتعسته بفسادها وبظلمها كما يُثبت الواقع الآن، وما يُمكنه من المشاركة مع أيّ مظلوم ضد أيّ ظالم وعونه بكل قوة على طرد أي محتل ومنع أي معتدٍ يفكر في الاعتداء مستقبلاً.

وسيطيّة:

كما يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهي دولة وسط بين أيّ إفراطٍ أو تفريط، متوازنة تأخذ من كل أمرٍ ما يناسبها؛ لأن الحياة المتوازنة أفضل حياة، متكاملة كاملة تأخذ بأسعد أوجه الدنيا وتأمل في أعلى درجات الآخرة، معتدلة تنتفع وتستمتع باعتدالٍ بحياة سعيدة دون انغماسٍ أو إعراض.

إحسانية:

كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، فكل ما فيها حسنٌ مُتَقَنٌ جميل مُبْهِجٌ، بدءاً من الهواء والزروع والثمار والبحار والأنهار والبيوت والقصور والديكورات والطرق، وحتى الدواب والطي يُحافظ على حُسْنها كل مواطن، ومروراً بتحسين العلاقات الداخلية بين الناس في كلِّ أقوالهم ومعاملاتهم المالية والتجارية والعلمية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وانتهاءً بإحسان العلاقات الخارجية الإقليمية والأمية والدولية... إنها دولة لا تطلب الحسنَ فقط بل تدعو دائماً للأحسن في كلِّ شيء من أجل تحقيق الأسعد على الدوام! كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿فَتَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

رفقية:

فأصلها الرفق والتيسير والتسامح والتقارب والحلم والصبر والروية والتبشير والتفاؤل والأمل.. فعن أبي موسى الأشعري ؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بعثه ومعاًداً إلى اليمن فقال لهما مُنْبِها هذه الأخلاقيات: «يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفِرَا، وَتَطَوَّعَا وَلَا تَخْتَلِفَا» (أخرجه مسلم).

والتي بها يحدث الاطمئنان والاستقرار وحُسن اتخاذ القرار وإصابة الصواب والخير والهناء.. بينما العصبية والشدة والعجلة واليأس تؤدي إلى التوتر والقلق، والتعقيد وفقدان الهدف، والشروء والانحراف، والتراجع والانهباء والشقاء.

أمنية:

أي أمنة، كما يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، فقد حققت كل أنواع الأمن: النفسي والمالي والغذائي والصحي والاجتماعي والعلمي والعسكري وغيره؛ لأنها أخذت بكل أسبابه من أخلاق حسنة وإجراءات مناسبة.

أخلاقية:

فهي دولة تجمع كل ما سبق من خير، كما هي وصيته ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (أخرجه البيهقي وغيره).

فالكل يجب ويحرص على كل أخلاق الإسلام، والكل ضد الفساد والظلم بكل أنواعه، وبالتالي يتحقق صلاح المجموع، وإذا كان الجميع هكذا صالحين فسيخرج منهم بكل تأكيد مسئولون صالحون، فيسعد الجميع.. والعكس صحيح تمامًا وبكل تأكيد، كما

يوضح ﷺ: «كما تكونوا يُولَّ عليكم» (أخرجه البيهقي).

هنية:

كما يقول تعالى: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]..

فالكل قد حقق أكبر إنجاز وأكبر جهد وأكبر علم وأكبر كسب وأكبر أمن وأكبر علاقات هنية مع الناس وربّه.. فحقّ لمثل هذه الدولة ولمن يعيش عليها من بشر ومخلوقات أن تكون آمنة سعيدة في الدنيا والآخرة.

سياسية:

فالسياسة في الإسلام تعني الإدارة وإحسانها لإسعادها، لإسعاد الدولة بكل بشرها ومخلوقاتها.. ولذا فهي مجموع ما سبق.. فالسياسة الإسلامية ربّانية عادلة صادقة حُرّة حقوقية قانونية شورية شعبية تعاونية ودية وطنية مؤسسية إدارية علمية اقتصادية اجتماعية صحيّة رياضية إعلامية فنية إقليمية عالمية وسطية إحسانية رفيقة آمنة أخلاقية سعيدة.. يقول الإمام البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى عن سبب نزول الإسلام لتحقيق مصالح البشر والخلق وسعادتهم:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]: «.. لتقام به السياسة..».

هذا، وكل ما سبق ذكره من صفات للدولة الإسلامية الحق، هي ذاتها الصفات التي يجب أن تتوافر ما أمكن في حكامها ومسؤوليها، وإلا لم ولن تستمر، فيكون أي حاكم وأي مسئول: ربانياً عادلاً صادقاً حراً حقوقياً قانونياً شورياً شعبياً تعاونياً ودياً وطنياً مؤسسياً إدارياً علمياً اقتصادياً اجتماعياً صحياً رياضياً إعلامياً فنياً إقليمياً عالمياً وسطياً إحسانياً رفيقاً آمناً أخلاقياً سعيداً.. وهي التي جمعها وأشار إليها الله تعالى بوصيته لأحد أنبيائه وخلفائه:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

إنَّ دولة وحكاماً ومسؤولين ومواطنين بكل هذه المواصفات الحسنة، وإنَّ ديناً ونظاماً كالإسلام ينظمها هكذا بكل تكامل وتوازن، لهو ولا شك أشمل الأنظمة وأحقها لإدارة البشرية ولاسعادها، وهي ولا شك أسعد وأعدل وأمن دولة في العالم،

ومواطنوها هم الأسعد على الإطلاق، بل وكل مخلوقاتهما حتى الدواب كما في قصة المرأة التي حبست هرة وحرمتها حق التمتع بحياتها فدخلت النار.. وهي الدولة التي كانت كذلك على عهد الخلافات الراشدة الكاملة منذ الرسول ﷺ وبعده.. إنها الأحق بقيادة الأرض ومن عليها.. لتسعداها.. لا لتُعسها وتستعبدها كما يحدث من غيرها.

فكن أيها الداعي إلى الله والإسلام ممن يدعون لمثل هذه الدولة المثالية السعيدة المُسعدة؛ لتسعد بسعادتها في الدنيا، وبعظيم ثوابها في الآخرة.

الفهرس

٣	مقدمة
٥	إطالة
١٤	مواصفات الدولة الإسلامية وحكامها
١٥	ربانيّة
١٥	عدليّة
١٦	صديّة
١٦	حريّة
١٧	حقوقيّة
١٨	قانونيّة
١٩	شوريّة

شعبية.....	٢٣
تعاونية.....	٢٤
وَدِّيَّة.....	٢٥
وطنية.....	٢٧
مؤسَّسِيَّة.....	٢٨
إداريَّة.....	٣٠
علمية.....	٣١
اقتصادية.....	٣٢
اجتماعية.....	٣٤
صحية.....	٣٥
رياضية.....	٣٥
إعلامية فنية.....	٣٦
إقليمية.....	٣٦
عالمية.....	٣٧

وسطية.....	٣٨
إحسانية.....	٣٩
رفقيَّة.....	٣٩
أمنية.....	٤٠
أخلاقية.....	٤٠
هنيَّة.....	٤١
سياسية.....	٤١
الفهرس.....	٤٥